

# عبادة اب الأفاعي السودي

الجزء الثالث

2018



## الجزء الثالث

### انفلات القيم

منذ زمن بعيد، ومذ كان في السنة الخامسة من دراسته الابتدائية، السنة التي بدأت حواسه تستكشف ما حولها من بيئة ومن ناس ومن علاقات لم يعرفها من قبل في قريته؛ منذئذ، شرع يراقب بحس مرهف تطور العلاقات التي تربط الجنسيتين داخل محيطه الضيق-مدينته الصغيرة بوعرفة. يتابع بحزن وخشية ذلك التحول الحاصل في طبيعة العلاقة الأخلاقية داخل مجتمع المراهقين. كم كان معجبا بوشاح الحشمة الذي رصع مجمع الناس أيام زمان. أيام كان في بلدته على الحدود. أيام كانت الحياة تعانق بداياتها الأولى هناك، تسير وثيدة نحو التبدل والإبتدال. لم ير بالقرية عرافا ولا ساحرا. وما انعقدت في حضرته حلقة لدجال. كل ما رآه وخاطب انتباهه، هو الحضور القوي ل"فقيه القرية -الإمام سي عبدالله- بجامعها القديم في أذهان الناس هناك؛ آنستهُ جدا كثرة مقامات "أولياء الله الصالحين" كما يراهم الناس في بلدته. لا ساحرا فيداوي سحره آلام نفوسهم. لا عرافا فيسألوه عن الغيب في مستقبل مجهول. بل كان يكفيهم الدعاء والرجاء ساعة المحن عند قبر أحد هؤلاء الأولياء -سيدي الشيخ، سيدي عطا الله، سيدي محمد بن صفية سيدي إبراهيم هناك بعيدا بكيلومترات يحف خطر الوقوع بيد الاعداء- فيُجاب دعاؤهم.

تسعى العجائز بمن تصيبهم ضربة "وطواط" أو مس من الجن إلى "فقيه" القرية الوحيد. يقفن قبالة باب الجامع في حياء، في وقار؛ في استحياء. هناك يحدث كل شيء. يتم الفحص وتشخيص المرض. هناك تحلل المعطيات. وهناك يوصف العلاج. وهناك يقدّم الدواء بأجر زهيد في ثيدلية النية ونقاء السريرة والعقيدة.

تمر على تيمح صور من ذكريات عن حال الفتيات في بلدته. كن جميلات بجمال الورد والأرض والعرض والشجر. كجمال أصوات الطيور وطينين

النحلات في تباشير الربيع. جمال مياه السواقي الصافيات عند الفجر وعند المغيب. جمالهن الحشمة وطهارة النفس ونقاوة الطاعة. تخرج البنات حاملات سطولا من معدن أبيض. ينزلن إلى الساقية القريبة بفساتينهن المزركشة بألوان الطبيعة. فساتين تغطي أجسادهن إلا ما سُمح بظهوره شرعا من قدمين وكفين مما لا يُعتبر عورة. تنزلن لجلب الماء إلى منازلهن وبداية النهار. ينزلن عبر الأزقة الضيقة الممتدة داخل القصر. لا تكاد إحداهن تقترب من مجمع الشبان على قارعتي الأزقة حتى يتوجه هؤلاء بأبصارهم صوب الأرض مخافة إحراجهن، أو أن يروا منهن شيئا فيعاقبوا أنفسهم بشدة وتعاقبهم -جماعة -مجلس القرية، إن علمت. لا يرفعون عيونهم إلا وقد فرغ الزقاق منهن تماما، إلا وقد اختفين خلف المسافات البعيدة. كن في نظرهم ياقوتا. في ظلمت بحر لحي. كن نفائس ثمينة في بيت عبادة. جواهر يشع جمالهن بسحر وقار هؤلاء الرجال. لآلئ في أعماق أسرار تلك القرية. إن يهوَ أحدهم واحدة منهن، يسارع إلى طلب يدها، فتكون له، ويصير لها، ويعيشا في ثبات ونبات سعيدين مدى حياة، بما انجبوا من صبيان وبنات. لا يبدلها ولا تبدله. لا يتركها ولا تتركه. يطلب يدها دون ان يراها أو تراه. دون أن يعلم عنها أو تعلم عنه شيئا. يكفي الرجل منهم شرفا مدى طهارة شريكته كما رآها صغيرة تركض كالغزال حياء بين زقاي قريته. وأحس بنفس وقارها كبيرة. تفاهم بطعم الطاعة العمياء للرجل وللأعراف. ذلك ما كان ينظم تلك العلاقة السرمدية. كذلك كانت الحال في قريته الصغيرة. وهكذا بدت الحال في مدينة هجرته. علاقات محتشمة لا تتعدى التحية من بعيد. نظرات لا تتجاوز حدود الأدب. محبة عذرية لا يشوبها غدر. كذلك كانت الحال مع عائشة. حين صادفها الشاب الأسمر صالح في إحدى مساءات الصيف الحارة. مرت أمامه كالطيف السريع، نظرت إليه ونظر إليها؛ اجتذبتة ابتسامتها البريئة واجتذبتها إليها انبهاره بها. أحبها الأسمر وأحبتة كثيرا كما شعرا بذلك دواخلهما معا. كانت تقابله عند كل مساء قبالة السوق القديمة. سوق مغطاة حيث الباعة يتفننون في عرض بضائعهم أمام المشتريين. هؤلاء الذين يتجمعون في كل ركن من ذلك المكان في ذلك الوقت. يقتنون القزير والبقدونس لإعداد "حريرة لذيذة لمائدة الإفطار أيام رمضان. او يأخذون ربطة ننع أو شيح لإعداد شاي أو قهوة عصر ذلك اليوم الذي ينحو امامهم نحو الانتهاء. كان حضوره إلى ذلك الموضع ووقوفه على مرعى عينيها، كان

كافيا ليُعَدَّاه معا لقاء. لم يكن عمل ساحر ما يجمعهما ،وما كان من تنبؤات عراف. كان لقاء صدفة وعفوية . كانت الحشمة والحياء لباسا ارتدته عائشة طيلة السنوات الست التي معرفته بيها. ما كلمته وما كلمها أبداً""كنت فقط ارغب في رؤيتها .فقط في ان امتع ناظري بجمال وجهها كما احس به في اعماقي""يقول صالح معللا. كانت النظرات والحضور إلى مكان لقائهما الأول، هو العربون والضمان لتلك العلاقة العذرية . رباط روجي لم يقم قط سوى على تلك النظرات من بعيد. حتى يوم صادفها وجها لوجه عند باحة مستوصف المدينة، خرس لسانه عن أن يكلمها. لم ينظر إليها ولم ترفع عينها إليه استحياء منهما . كان ذلك أول يوم يقتربان فيه من بعضهما بتلك المسافة على مر سنين ما جمعهما. لم يكن آنذاك كأمثاله من شبان المدينة فيعترض سبيلها ،أويقعد لها متربصا، ثم يتجاوز معها حدود الأدب والخلق. رفرف قلب الأسمر وهو يراها على تلك المسافة القريبة منه؛ لكن فمه عجز عن أن يحييها او عند ابعده حدود يقول لها "أحبك""عند الاستدارة ،وقع وجهي على وجهها فجأة ،لم ادر ما افعل في تلك اللحظة .خانني لساني .احسست بثقل قدماي على المشي .كنت فقط انتظر ان ينتهي ذلك المشهد"" يضيف صالح الأسمر متأسفا. لم تحدثه .مرت أمامه كالطيف الجميل ،كفراش ملون على زهر الياسمين . فواحة العطر ممشوقة القامة .لقد رغب كثيرا في أن يحدثها .تمنى يومها لو أوقفها أو أوقفته. . وكلمها أو كلمته .تمنى لو فهما معا طبيعة تلك الصدفة ،و يعلما معا سر ذلك اللقاء الغريب فيقدم احدهما نفسه قربانا لفك شفرة ما يبعدهما الى ما يجمعهما من بعيد. مرت إلى حال سبيلها تتبعها نظراته البئيسة. انطلق الأسمر في رحلة بحث طويلة داخل أفكاره عن حقيقة ما كان يريد من تلك الفتاة. يستهويه مكان لقائهما الأول فلا يفارقه.أحبه وعشق حديث تلك النظرات الطويلة المتبادلة معها كل مساء فظل حبيسه يسجنه. كان متيما بها وبه جنونا. هل كان حبا ذاك أم مجرد شعور عابر جمعهما طيفه الجميل لسنوات؟ لقد ورث عن قريته احترام بنات الناس ؛ولم يكن مستعدا ليخسر تلك الخصال فيضعف أمام فتاة يُعتبر دخيلا على مدينتها. ما كانت أمه لتسامحه إن دنا من أي شابة اقترابا .إن كلمها أو تجاوز حدود اللياقة والاحترام تجاهها.هو في نظرها احترام لاسرتها ،لوالديها .لم تكن لتسمح له بترك دراسته ،والتعلق بذلك العالم العميق الصاحب الذي تراه فضاء مظلما تحرق نار نجومه القذرة الملقين

بعيدا دون ان تسمح لهم بالعودة. لم تتخلف أم الأسمر صالح يوما عن نصح ابنها وتنبئها: "إياك و الاعتداء على بنات الناس " كما كانت تسميهن ؛ " حرمة البنات يا ولدي من حرمة أسرهن ". كانت أمه تحسب كل لقاء أو حديث مع شابة من المدينة، تعده تجاوزا أخلاقيا لا يُغتفر .هكذا كانت أم الأسمر تفهم الأمور . لا مخلوق يغير ما تعتقد به .هي نشأت في الدشر وتربت هناك على هذه القيم ""لم يجرؤ شاب يوما على معاكستي ،فكيف ترضى وتسمح لنفسك بمعاكسة بنات الناس.اتق الله يا ولدي في نفسك وفيهم"على أثر هذا الخطاب وامثاله ،نشأ الفتى تيمح على خطاب أمه .المدرسة الأولى في حياته .

في يوم زفاف عائشة، والصيف قد اشتد حره ،وكشرت شمسه عن أنيابها المشتعلة، خرج الأسمر صالح في موكب عرسها يتبعه كالمخبول إلى خارج المدينة. صار يتفحص الراكبين على متن سيارات الموكب لعله يظفر برؤية وجهها لآخر مرة قبل أن يُوارِيَهُ قفص الزوجية. تبع موكبها ليدفن يومها آخر لقاء حي بينهما ،ويفسح الطريق لميلاذ الذكريات.ليمحو ما كتبتة أقلام الحب العذري على صفحات لقاءاتهما ويسمح لأقلام الخيال ان ترسم له صورا عنها حتى لا ينساها أبدا.لم يرها .إحاطت بها تلك الجسوم الضخمة من العجائز الطاعنات او من الشابات في مقتبل العمر بردائهن من الثوب الرفيع، يحملها قسرا إلى بيتها الجديد. أحس بلباس العرس الأبيض يضغط على صدرها .يخنق ذاك الوشاح على وجهها الجميل كلمات الوداع الأبدية.خالها تريد القفز من السيارة ،فتمسك يدها بيدها التي لم يمسكها قط ،ثم تعود به إلى المدينة .تمسكه برفق ويمسك يديها . يغنيان معا على الطريق اناشيد العناق ؛لكن الزمن والسرعة عجلا بفراقهما.انسحب الأسمر صالحُ من المكان .تهب عليه نسيمات الحزن وقد عبرت فجاج روحه الكئيبة .كانت الجبال القريبة تراقبه من بعيد. ربما رغبت في مواساته في فقدان واقعه الغالي تتسلمه وريقات الذكريات الوارفة ظلالة. عاد الى بيت أبيه وقد طوى صفحة سنوات ربطته بطيف فتاة لم تجمع بينهما سوى النظرات .ظلت عائشة في عقله مثلا لسلطة الأخلاق التي طالما رآها مفتاحا لنجاته أمام تأثيرات الشارع الخطيرة.

حدثه الأقران عن أعمال السحرة لاقتناص الشابات من فتيات المدارس والثانويات حتى يسقطوهن في حضن الرذيلة. يقصدون بيوت العرافين

.يحملون إليهم نقودا. يخبرونهم باسم الفتاة واسم أمها واسم جدتها، ثم يتولون إلى الظل وينتظرون . حدثه كثير من هؤلاء عن نجاح تجاربهم مع تلك الأعمال الشيطانية -كما كانت تبدو له .وهي في نظر الآخرين غير ذلك- بعضهم ادعى تحقق ما يفعله العرافون دون إبطاء، وأنه جرب ذلك بنفسه لا مرأى فيه. صارت فتاة من هنا أو أخرى من هناك فريسة سهلة المنال. ولقمة سائغة المأكل في يد هذا الشاب أو ذاك. أصبحن ضحية نقود المكر والخداع. أحس شعورا بتلك القيم الذميمة تتنامى سريعا بين فئات الشبان .الشبان الذين كانت المدينة تفقد شيئا فشيئا روحها وعفتها بتصرفاتهم المراهقة .بدأت هذه الحركة المراهقة مع بناء أول إعدادية . ثم تناسلت مع يسرة فرص التلاقي بين الشبان على اختلاف أعمارهم وأجناسهم خارج أسوارها بعيدا عن عيون المربين ، وعن عيون الوالدين. أحس شعورا بخطر تلك العلاقات . حديث ثنائي أمام الفصل أو وسط الساحة. تجمعات هنا وهناك .بل في كل ركن من زوايا أرض الثانوية. لقاءات قوامها الأختلاط والسير بالعلاقات المشبوهة الدخيلة إلى أرقى سلم الارتقاء والانتشار في الحيز المكاني خارج أسوار المؤسسة. لقاءات أخرى وتجمعات وحديث وابتسامات لا تفارق الوجوه الغضة النظرة زهرة الشباب في الاروقة منها والممرات الضيقة. كانت الألوان براقية في ذلك المحيط الصاخب المتحرك جذابة تغري حرية غير مقيدة بأي شرط طفقت تنمو دون أسوار تحدها. رأها جليلة في حديثهم وتصرفاتهم ولباسهم ،كما في طريقة حلق رؤوسهم ،دون أن تنتهي عند طريقة مشيهم . كل ذلك كان يفضح العناوين وما توحى به السطور. يؤثر فيهم ما تُقدِّمه «صالات» السينما المنتشرة بشكل لافت في المدن القريبة . يقلدون المشاهير في الأفلام التي تبدو فيها آلهة الهند توجه المشاعر .مشاعر الحب والكراهية .مشاعر الرغبة في الانتقام .مشاهر النجاة حتى من موت أكيد .ظل الفيلم الهندي آنذاك مصدرا ملهما لهؤلاء المراهقين .يعرض صورا خيالية تتناغم و العقيدة الهندية . ظلت رموز العقيدة الهندية متجذرة في الذاكرة الشعبية لذلك المجتمع العريق كما تناقلتها تلك الأفلام الطويلة .وأضحى تأثيرها على هؤلاء الشباب بيِّناً .ظهرت هذه الأفلام كما شاهدتها تيمح مليئة بالعرافين والسحرة والآلهة والخيال .اتخذها هؤلاء العرافون طريقا إلى جلب المزيد من الضحايا الجاهلين خصوصا من أوساط

الشباب. يكسبون من وراء ما يقدمون لهم أموالا طائلة. يمهدون لهم سبلا إلى الخطايا. يُوهمونهم بقدرتهم على حل مشاكلهم مع إحداهن . لم يقف تأثير السينما على الشباب - كما ظهر ذلك لِتِيْمَحْ وهو ابن الثامنة عشرة ربيعا ، و كان من بين الغارقين في بحار حب الفن السابع- عند ما يقدمه الفيلم الهندي فحسب، بل تعداه- إلى أفلام السينما الصينية واليابانية والإيطالية، حيث كانت أفلامها تعبر بهم أنهار الخيال، وعوالم حب الذات ، والشعور بالعنفوان والقوة، فيحبون الظهور ولو بمظاهر سلبية أمام الآخر. كانت تحملهم إلى شطآن الأساطير والخرافة والعواطف الجياشة. ينهلون من موائد المكر. يَطْعَمُونَ منها الحيل والمكائد للإيقاع بطرائدهم واقتناصهن بلا عناء. بدت الفضيلة بريقها يخبو بما تقدمه قاعات السينما من أفلام تروج لقيم جديدة متقدمة. تَرَفَّقَ تطور علاقات الشباب وتدني أخلاقهم مع تداعي سلطة الآباء وقدرتهم على لجم اندفاع أبنائهم وبناتهم نحو هذه الأفكار المستحدثة. أوقد الشبان نار مواجهة مفتوحة مع السلطة الأبوية. بدأ ذلك بشكل تدريجي. ثم بلغ السرعة النهائية. يتذكر تيمح قصة حمود، وهو من أولئك الشباب الذين رغبوا كثيرا في الإستمتاع بلذات الحياة. كان يرى تفكير أبيه بضاعة مستوردة من زمن ولى وانتهى. سلعة فسدت فتجاوزتها موزا التفكير العقلاني المناسبة لعصره. كان همه أن يستقل بفكره عن أسرته شرط الإبقاء على ارتباط اقتصادي واجتماعي دائم معها. ظل حمود حتى بعد أن بلغ سن الرجولة، بعد أن اعتدل طولا وعرضا، بعد أن بلغت متطلبات حياته ما لا تطيقه أسرته، ظل مأكله ومشربه وملبسه ومبितه وُقفاً على أبيه. دينا من واجب الأب سداده. كثيرا ما عاكس إحداهن على الطريق، فترجمه سباً وشتماً ، ثم تشتكيه عند أبيها ، فيهرب حمود و يحتمي بأبيه أو حتى بأمه. لا يخجل أن يضعهما في فم المدفع طلبا للنجاة من ذنب اقترفه. ومثل حمود من الشبان كثيرٌ. إن يجمعك الشارع بهم، يُدْهَلِكْ نمط عيشهم يُنْفَرِكْ أسلوب تعاملهم. أمسى الشارع بيتا آخر لهم ولحمود ليل نهار. لا أبَ ولا أمَّ يمنعانهم من معانقة الشارع أو الدرب أو زقاق من أزقة بالمدينة متى حنوا إليها. ما يصرفهم أحد عن ارتياد الأماكن المهجورة المنسية. مَنْ يصادفهم ، تُرْعِبُهُ حالهم. ما عادت لكلمة "إِلْ بُغَيْتْ لُخَيْرٌ" قيمةً في نفس حمود وما عاد محتاجا إليها ، ولا في نفوس هؤلاء الذين استهوتهم المدينة بمظاهرها الجذابة. ما عادت كلمة "ها لُخَيْرُها الشر" تردعه وتردعهم. لقد أطبق عليهم

الشارع قبضته الفولاذية .أوقعهم داخل شبابه الجارحة المُميته .جعل الشباب أفكارهم دستورا لا يخالفون شرعه.لا يتمردون على بند من بنوده. أصبحت عقولهم أسيرة أفكارهم المستبدة. لا يضرهم غضب آبائهم و أمهاتهم .بآرائهم وأفكارهم متشبثون .لا نصيحة تعود بهم عنها .كأنها من كتب مُنزلة. كأن الكون يجدد نواميسه عكس منشئها الأصلي.

عاش تيمح بين هذه التناقضات كما عاش بينها أقرانه. نظر إليها كعلامة على تغير خطير بدأ يطرأ متسارعا على عقليات الشباب.بوابة ستُفتح واسعة أمامه على عالم مضطرب .سيسبب اضطرابه انحرافا للقيم عن مسارها الصحيح المستقيم .عالم سيفقد أمنه واستقراره .ستختفي فيه كثير من أسس الفضيلة التي جمعت الإنسان بالطبيعة و بالوجود. عالم ستتهاوى فيه إنسانية الإنسان فتتلقفها أنياب حيوانيته ووحشيته الكامنتين فيه.

ظل التفكير في مصير أبنائه وبناته أمام هذا المد اللااخلاقي هاجسا يخيف حاضره في كل وقت وحين ، بل، في كل مكان يحل به أو يرتحل إليه .تصله تلك الصورة القاتمة للأحداث. تتبلور على سطحها معالم حياة جديدة تجرف الشباب ومعهم كل فئات المجتمع إلى مستنقع قذر. ينتابه شعور بالقلق على أسرته ومجتمعه. يراقب بألم هذا التحول الرهيب الذي سيلقي بالجميع إلى مزبلة العبث والفوضى.إلى أحضان مجتمع سيرتع فيه الأبناء والبنات وسط عشب الخطيئة. مجتمع سيخاف فيه من أبنائه وبناته .مجتمع سيخاف فيه على نفسه من نفسه .لن يسلم أبنائه وبناته من تداعيات هذه الأفكار الزاحفة كالحمم.ستغزو عقولهم .تستعمرها.تصيبها بعدوى السلبية.يؤمن يقينا أن مثل هذه الأفكار،إذا كثر معتنقوها ومشت على سكة الزمن بسرعة أكبر، غطت أماكن أرحب .

بدا مهتما كثيرا -وقد تقدمت به السنون،وبحكم ما علمته الأيام- بدا مهتما بقضايا الشباب ،وبالحكايات التي تُسرد عليه حول ما يحدث لهم جراء تعرضهم لعمل ساحر ،أو سقطوا بين مخالب عراف لا يرحم. يتردد على سمعيه كلام كثير عن تخطي أحدهم لحرز نصب كالشرك لشخص ما فأصابه ؛فغير مجرى حياته. وعن آخر تناول مواد سامة ،خليط من أعضاء حيوانية وعقاقير "التَّوْكال" فأطاحت بعقله وجسده ، وثالث اشتم رائحة

بخور فصرفته عن تلمس الحقيقة وبدلت الصواب في عقله أوهاما لا تنتهي . لم يكن اهتمامه بهؤلاء من قبيل الصدفة ، بل كانت له جذور في الماضي ، وتحديدًا مما درسه في الفلسفة والفكر الإسلامي . مما مر به من تجارب مع المشعوذين والسحرة و الحلائقين وهو صغير . ازداد خوفه على أبنائه وبناته أمام ما يصل سمعيه من حكايات مفزعة رهيبة. لا يطال عقله ولا قلبه شك في صدقية ما يُروى حولها. مع ذلك، ظل ينتظر حكاية من قريب أو صديق حميم فيثق في كل تفصيل من تفاصيلها. حكاية من قريب أو صديق يجيب سؤاله : "كيف يصح في عصر التكنولوجيا وتطور الرياضيات والعلوم، كيف يصح أن تحكم فكرة"الطوطم والتابو"عقول الواعين من المتعلمين وأهل الفكر؟ أن يكشف له بجلاء الخيوط المتشابكة بين العقل المستنير بالوعي والعلم، وبين سلطة العراف والعاطفة التي تجمد ذلك العقل .

لم يتأخر بحثه؛ فقد اهتدى إلى شخصية ستروي الحكاية بالدقة الدقيقة.

نشأ ذلك الطفل واصل في كنف والديه ، في بيت رفع للعلم راية لا تنزل مهما هبت لصفوف الزمان رياح. حمل الطفل ذلك الاسم الذي أحبه أبوه بجنون؛ اسم ذلك المفكر المعتزلي الذي ناصر العقل لدرجة الحمق. نشأ الصبي يحظى برعاية تامة، يجري ويلعب مع إخوانه وأخواته . محبوبا . لا يمسسه من سوء ولو أقله. نشأ بشوش الوجه، لا تغادر البسمة اللطيفة ثغره. نشأ يغنى مع أخته أعذب ألحان الطفولة. تشع السعادة على خديه الحمراوين بخيوط واضحة مع مطلع كل شمس . صار يكبر ويكبر ، ترعاه عناية الله تعالى ، ورعاية والديه . منذ ذلك اليوم الذي رأى فيه نور الدنيا، منذ أن استنشق أكسجين الحياة لأول مرة في ذلك الصباح من عيد الفطر؛ منذئذ ، إجتهد والداه في رسم الطريق ممهدة له على سكة النجاح. السكة التي تقيه الضلال والتبعية ، وتقويه تقلب الزمان و مكر الأصحاب. كانت الخطة معدة محكمة. سلامة في الجسم والعقل. دراسة حتى الحصول على أرقى الشهادات . وبين هذا وذاك ، تدريب على مبادئ التجارة حيث يحذر براثن الأشرار ، ولا يرضى الا بسبيل الأبرار . صار الشاب بحكم ما تلقاه خلال سنوات الدراسة الطويلة، وبسبب ما مر أمام عينيه من أحداث وتجارب ، صار أهلا لأن يحكي عن الأقران أخبار حياتهم ، أخبار علاقاتهم وارتباطاتهم ، أخبار ما مكروا وما دبروا لبعضهم البعض ولبنات الناس من سوء نية وسوء مآل، طمعا في نزوة زائلة لا يتوقف تدفقها.

أخبار ما دُبِّرَ لهم من أعمال السحر، أخبار ما عانوه جسدا وروحا. صار الشاب واصلُ الآن محل ثقة في نقل تلك الصور الرهيبة المتضاربة من حياة الشارع من حديث الدروب المخيفة. من الأماسي الصاخبة في الأماكن المهجورة وسط الخراب . صور من دهاليز العقول الجاهلة . لم يكن لواصل أن يحكي أي حكاية، لولا أن إحداها كانت في صلب المعركة التي خاضها أبوه من قبل أمام العادات والتقاليد التي خدمت العرافين والسحرة ، تغذيها عواطف الساذجين . كانت حكاية شاب في الجامعة ، لعبت الأقدار بوسامته وخفة روحه وألقت به داخل شباك السحرة المارقين .